أسماء الله الحسنى
من خلال مدارسة أذكار الصباح والمساء

"اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت".

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللّقاء السّادس عشر

السّبت ١٩: جمادى الآخرة ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن ذكر ربّه فاطمأنت نفسه، وممن زال همّه وغمّه بذكر ربّه، فمن المعلوم أنّ هذه أحوال النّاس في الأرض تصيبهم المصائب وتتغير عليهم الأحوال وتأتي الآلام فتكدرهم وتؤلم قلوبهم وتعصر فؤادهم، والدّنيا جبلت على كدر ولكن هذا الحزن وهذا الألم إنما هو طريق يرقّي الإنسان في طريقه إلى الرّحمن، وقد جعل الله هذه الأذكار الّتي علمناها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- بمثابة الدّافع والمجدد، الدّافع للآلام والمجدد للآمال بأنّ غدًا القريب سيكون الأمر فيه على أحسن حال، وربّما يكون هذا الحزن أو الألم الّذي يصيب القلب على شيء قد مضى وربّما يكون على شيء في المستقبل، وربّما يكون في شيء في حاضر الإنسان، فإنّ الأحزان متغايرة، فقد يتذكّر الإنسان أمورًا مضت عليه فيحزن، ربما فات عليه خير دنيوي أو أخروي، وربّما تصرف بطريقة غير مناسبة فيما مضى أو ربّما وقع مثلًا في عقوق والدين فيما مضى فيندم على تلك التّصرفات، وربّما تكون أحزانه على المستقبل، يتخوف من أمور قادمة، مثلًا تقع على بعض النّاس أمراضًا فيتخوف هو أن يأتيه هذا المرض وهكذا، أو تكون الأحزان بسبب مصيبة الآن حلت عليه؛ ولذلك حين نقول إنّ هذه الأذكار الّتي نذكرها أذكار الصّباح والمساء وما فيها من أسماء الله مذهبة للحزن والهمّ والغمّ فإننا نتكلم عن ثلاثة أمور:

- نتكلم عن حزن على ما مضى.
- ونتكلم عن همّ فيما يستقبل الإنسان.
- ونتكلم عن غمّ فيما يعيشه الإنسان.

وذكر الله المتضمن لأسماء الله وصفاته وأفعاله مذهب لهذا كله، سواء كان الحزن أو الهمّ أو الغمّ، هذه الأذكار تغسل القلب، إذا وصلت إلى قلب الإنسان، هذه الأذكار إذا وصلت إلى قلب الإنسان حقيقة تذهب ما فيه من أرق ومن كدر؛ لأن هذه الأحزان سواء كانت الأحزان أو الهموم أو الغموم عندما تصل إلى قلب الإنسان تكدر الخاطر ولا يكون وضع الإنسان طبيعي، وهذا الأمر نحن نجده مرتسمًا على وجوه من نلقى، ومن نلقاهم إذا كنا نحن المحزونون، فإنهم يرون هذا على وجوهنا. إذًا الهمّ والغمّ والحزن أمور تقع في القلب والإنسان لا يستطيع أن يدفعها بقوته أبدًا ولكن نحن نعرف أنّ هذا طبع الدّنيا، ولهذا الطّبع علاج، ولابد أن نسعى في إبعاد هذه الهموم والغموم عن أنفسنا ولكن كيف نبعد هذه الهموم والغموم والأحزان عن أنفسنا؟ النّاس في ذلك لهم مسالك كثيرة وعظيمة متباعدة، ربما أخذوا باب المخدرات والعياذ بالله والخمر! وربّما أخذوا باب الملذات الدّنية، وربّما أخذوا باب اللّعب واللّهو والاجتماع المتكرر مع الأصحاب علّ هذا أن يسليهم عمّا هم فيه! ولكن ليعلم أنّ لا علاج ولا دواء ولا شفاء ولا سلامة إلّا بالعودة الصّادقة إلى الله وبذكره وتعظيمه وعمارة القلب بتوحيده والإيمان به واللّجوء الصّادق إلى الله في كلّ حال، وإظهار الفقر التّام له -سبحانه وتعالى- والانكسار، هذه الأمور إذا تعوّد الإنسان فعلها سيجد القلب أثرًا.

ولذلك أذكار الصّباح والمساء هي طمأنينة القلوب وراحة الإنسان، هي أنس للنفوس وذهاب للهموم والغموم، وهذا الأمر قد نصّ عليه كتاب الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1] فانزعاج القلب وما يصيب الإنسان من الهمّ والغمّ والحزن هذه كلّها أمور -كما نعلم- الله قد ابتلانا بها في الدّنيا ونعلم أنّ هذا طبع الدّنيا كذلك نعلم أنّ الله -عزّ وجلّ- قد جعل من كلّ همّ فرجًا ومن كلّ ضيق مخرجًا ومن كلّ بلاء عافية. والذّكر هو الشّفاء وهو الدّواء ومن ذلك أذكار الصّباح والمساء، ولابد أن يعلم القلب معاني هذه الأذكار ويعلم ما فيها من أخبار عن الله، ويعلم ما في هذه الأذكار من اعترافات من الإنسان لأجل أن يكون حاضر الذّهن حين يقولها فتؤثر في قلبه هذه الكلمات الّتي يقولها. وفي الحديث أرشد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من أصابه كرب أو حلّ به همّ أو نزل به غمّ أن يفزع إلى الله، وأن يحافظ على هذا الذّكر الّذي علمه النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- :

- «كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الكَرْبِ يقولُ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ»[2]

سبحان الله! كلّ هذه جمل توحيد وإيمان ومعرفة الله العظيم الحليم، معرفة ربّ العرش العظيم، ربّ السّماوات وربّ الأرض وربّ العرش الكريم، كلمات عجيبة تحتاج إلى تفكير وتأمّل.

(١) الرّعد: ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري: (٦٣٤٥).

- ومثلها حديث أسماء بنت عميس -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «ألَا أُعلِّمُكِ كلماتٍ تقولينَهُنَّ عندَ الكَرْبِ، أو في الكَرْبِ؟ اللهُ اللهُ ربِّي، لا أُشرِكُ به شيئًا»[١].

- ومن دعوات المكروبين: «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ، وأصلِحْ لي شَأني كلَّه، لا إلهَ إلَّا أنتَ»[٢].

- ومن تلك الدّعوات دعوة ذي النّون إذ دعا وهو في بطن الحوت: «دَعوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعا وهُوَ فِي بَطنِ الحوتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» يقول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ إلَّا استجابَ اللَّهُ لهُ»[٣].

فهذه الأحاديث كلّها تشير إلى علاج الكربّ بالذّكر، ومن تأمّل هذه الأذكار وفهم معناها وعرف أنها تدفع إلى باب الله وإلى توحيد الله وتخلص من كلّ التفاتة في القلب لغير الله؛ سيجد أنّ هذه الأذكار الّتي صدرت من قلب صادق دواء لن يبقى بعده همّ ولا مقدار ذرة، فهذا ذكر الله وهذا أمر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، والقلوب بين إصبعي الرّحمن يقلبهما كيف يشاء، فكان ذكره دواء نافعًا وعلاجًا مباركًا وشفاء لما في الصّدور. نحن بحاجة إلى الإتيان بالأذكار المشروعة بعلم وتفقّه، وخاصّة أن نعرف ما ورد في هذه الأذكار من أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته ومن الأحوال الّتي نحن نوصف بها أو من العبادات الّتي يجب علينا أن نقوم بها، فالحمد لله.

---

(١) صححه الألباني.

(٢) حسّنه شعيب الأرناؤوط.

(٣) صححه الألباني.

سنأخذ من هذه الأذكار الذّكر الّذي نقوله في أذكار الصّباح والمساء، الأربّعة نصوص الّتي تذاكرناها الآن هذه كلّها نصوص في علاج الهمّ والغمّ إلّا أنّ نص: «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» هذا ذكر من أذكار الصّباح والمساء وهو من دعوات المكروب، سنأخذ هذا الذّكر ونرى ما فيه من أسماء الله وصفاته وأفعاله ونرى ما فيه من أحوال المخلوقين الّتي يجب أن يكونوا عليها.

❁ فانظروا إلى هذا الدّعاء العظيم:

«اللَّهمَّ» أي: يا الله، ننادي الله باسم الجلالة والعظمة (الله) الله: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

«رَحْمتَك أرْجو» وهنا إيمان العبد العظيم بأنّ إلهه وسيده ومولاه رحمته وسعت كلّ شيء ووصلت لكلّ حيّ، فيقول: يا الله رحمتك أرجو، وهنا يظهر أيضًا التّوحيد، رحمتك وحدك أنت يا الله، لا أرجو رحمة أحد سواك.

انظر كيف يظهر التّوحيد، وكيف يظهر في هذا الذّكر إيمان المؤمن بصفة عظيمة من صفات الله، الله يعامل العباد بها وهي أصل معاملة الله لعباده وهي الرّحمة؛ ولذلك تقولين في الفاتحة:

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي الثّناء المطلق كلّه لله.
- ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الّذي أوجد الخلق وربّاهم، ثم تقولين مباشرة:
- ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: نعترف بأنّ تربية الله لنا إنما هي برحمته، كلّ الّذي نمر به فإنما هو من آثار رحمة الله بنا، شعرنا بذلك أو لم نشعر، وهناك من يقبل رحمة الله بل وهناك من يطلب رحمة الله بصدق، هناك من يتفرغ من طلب رحمة غير الله ويبقى طالبًا لرحمة الله.

«فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» لاحظوا معنى أنّ الإنسان يوحد الله في طلب الرّحمة، كأنّه يقول: ارحمني رحمة لا أحتاج فيها إلى رحمة من سواك.

ونلحظ أنّ المؤمن هنا يقدم هذه العقيدة الّتي يحملها في قلبه بين يدي ربّه فيقول: «رَحْمتَك أرْجو» رحمتك وحدك هي رجائي، أنا أرجو منك الرّحمة وأطلبها منك ولا أطلبها من أحد سواك، لماذا يرجو الرّحمة؟ لأنّ من آثار الرّحمة دفع الكربّ، فانظروا ما تذهب الكربات إلّا بتوحيد الله، وسيتبيّن ذلك.

نحن بدأنا بهذا النّص وسنقول كيف أنّ النّصوص الثّلاثة الباقية كلّها توحيد «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو» ولا أرجو رحمة من سواك، ولا أطلب رحمة من سواك، يا ربّ أنا أريد منك رحمة تغنيني عن رحمة من سواك. (من سوى الله) أي: كلّ العالم إلّا الله، وحتّى نفسي، حتّى لا أريد أن أرحم نفسي، لا أريد الرّحمة الّتي تأتي من عندي وإنما أرجو رحمتك أنت وحدك.

«فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» تصور ماذا يعتقد المؤمن في هذه اللّحظة من الفقر العظيم لربّ العالمين، ماذا يعتقد في نفسه وفي ربّه، هذه الجملة: «فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» ضمنها الشّعور اللازم بأنّ ربّ العالمين هو وكيلي، هو الوكيل، هو الكافي ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[1] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2] ولذا تأتي في الأذكار: «حَسبيَ اللَّه» والله يقول في كتابه في سورة الزّمر: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3].

(١) الزمر: ٣٦.

(٢) الطلاق: ٣.

(٣) الزمر: ٣٨.

«فلا تَكِلْني إلى نَفْسي» أنت الوكيل، أنت الوليّ، في ضمنها إثبات أنّ الله من صفاته كفاية عبده، يا ربّ أنا فقيرة إليك في كلّ حال من أحوالي، وفي كلّ حركة من حركاتي وفي كلّ سكون من سكناتي، حتّى طرفة العين أنا فقيرة فيها إليك، أنا صاحبة الفقر التّام وأنت يا ربّ العالمين صاحب الغنى من كلّ وجه، لا غنى للفقراء عنك يا غني. فيكون المرء في هذه اللّحظة في غاية الشّعور بفقره، في غاية الشّعور بضعفه، معترفًا أنّ الله إذا وكّله إلى نفسه ولو لحظة واحدة يضيع ويضلّ! ومن وكّل إلى نفسه ضاع، ومن وكّل إلى غير الله ضاع، مهما كان هذا الّذي وكّلناه أمرنا واعتمدنا بقلوبنا عليه، مهما كان ذا فطنة وذا حكمة، وإنما الوكالة الجائزة الّتي لا مانع فيها القلب لا علاقة له بها، تعطيه أوراقك ليقوم بالعمل ولكن لا تقل: أنا مطمئن مائة بالمائة! والله يخيب هذا الّذي تطمئن إليه مائة في المائة! وطبعًا هذا إذا أراد الله بك خيرًا ينبئك بفساد هذه العقيدة.

تصور هذه الجملة: «فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» كم تتضمن من عقائد في نفوسنا لله! كم تتضمن من صفات عظيمة لله! صفة الغنى، فهو الغنيّ الغنى المطلق، وصفة القوّة والعزّة والقهر والسّلطان ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ بلى، أنا إذا وكّلتك أمري ستكفيني وتدفع عني، لو وكّلتك أمري لن أخاف من شيء. وكما يقول السّلف: "إذا وكّلت الله لن تخاف من شيء وخافك كلّ شيء، وإذا لم تكن متوكلًا على الله أخافك الله من كلّ شيء". فهؤلاء الذّين نعتمد عليهم بقلوبنا يكونون سببًا لضياعنا وهلاكنا، وهذا المعنى في حديث: «من تعلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ومن تعلقَ ودعةً فلا ودعَ اللهُ له»[1] لأنّ هؤلاء عندما يعلقون يعتمدون

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤).

ويطلبون من هذه الأشياء الكفاية والرّحمة والدّفع، والمؤمن لا يعلق قلبه إلّا بالله -عزّ وجلّ-، ولا يلتجئ إلّا لله -سبحانه وتعالى-.

فانظروا إلى ما في مضامين هذا الذّكر من أسماء الله وصفاته -سبحانه وتعالى-: «فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» بالإضافة إلى أننا دعونا ربّنا وقلنا: «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو» فأنت وحدك من أرجو رحمتك، فلا أرجو رحمة أي شيء ولا أرجو رحمة نفسي بنفسي فلا تكلني إلى نفسي، ولا تكلني إلى رأيي، ولا تكلني إلى مالي، ولا تكلني إلى مكري وفكري لا، رحمتك أنت أرجوها، أنت الغنيّ، أنت القادر، أنت القاهر، أنت الوليّ، أنت الكافي، أنت الوكيل ونعم الوكيل.

ثم يأتي الإنسان بعدما قال: (أرجو رحمتك وحدك) يقول: «فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» ثم يأتي الطّلب التّفصيلي للرحمة:

«وأصلِحْ لي شَأني كلَّه» كلّ الشّأن، أنا مفتقرة إليك في كلّ شأني، شأني في ديني، شأني في دنياي، شأني في آخرتي، في بدني، في قلبي، في صلاتي، في أبنائي، في قراراتي «وأصلِحْ لي شَأني كلَّه».

وكان من الدّعاء التّفصيلي لهذه الجملة: (وأصلِحْ لي شَأني كلَّه) دعاء النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِينِي الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا معاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيهَا معادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لي مِن كُلِّ شَرٍّ»[1] إذًا أصلح لي شأني كلّه، أنا ليس عندي أي قوة لأصلح أي شيء، أنا ممتحنة بالتّوكل عليك، ممتحنة بسؤالك ورجائك في كلّ صغيرة وكبيرة، وها أنا أعترف بعجزي ونقصي وفقري، وأعتمد

(١) أخرجه مسلم: (٢٧٢٠).

عليك وحدك لا شريك لك، أنت الغنيّ ونحن الفقراء، أنت القادر ونحن العاجزون، وأنت القوي ونحن الضّعفاء، فأصلح لنا شأننا كلّه.

«لا إلهَ إلَّا أنتَ» ما أعظم هذه الكلمة كلمة التّوحيد، لا أحد يستحق أن ألتجئ إليه ولا أعتمد عليه ولا أتوكل ولا أفوض إليه الأمر إلّا أنت، كلّ ما أصابني من همّ وغمّ أعلم أنك أنت الّذي تدفعه فادفعه يا ربّ العالمين عنا، لاحظوا: «لا إلهَ إلَّا أنتَ» هذه كلمة التّوحيد من أعظم ما يدفع عن الإنسان المكاره ويدفع الهمّ والغمّ.

ولذا تلاحظون دعوة ذي النّون إذ دعا وهو في بطن الحوت القصّة المشهورة، وهذا كربّ عظيم عجيب، التقمه الحوت وأصبح في بطن الحوت ودخل به أعماق البحر، هذا كربّ عظيم! في بطن الحوت وفي أعماق البحر، ليس هناك التفاتة لا يمين ولا شمال، وليس هناك أحد ينفع ولا يضّر أبدًا، ولك أن تتصور ماذا يخطر في البال من واحد ابتلعه الحوت وأصبح في معدته، ماذا ينتظر إلّا أن تعصر عليه هذه المعدة ما تعصر وتكسر عظامه وتفتت لحمه! ماذا ينتظر إلّا هذا؟! ولكن التّوحيد ينجّي العبد ولو كان في بطن الحوت، فهو ينادي في الظّلمات، في ظلمات بطن الحوت وفي ظلمات اللّيل وهو في أعماق البحر من يسمعه؟! ولكنه مؤمن بالله، متوكّل على الله، واثق في الله، يعلم أنّ من صفات الله: السّمع، سمعه أحاط بكلّ شيء مسموع، فكرر: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1] صوت سمعه ربّ العالمين وهو يسمع جميع الأصوات مهما كان بعدها أو قربها، مهما كانت لغتها، سمعه الله سمع استجابة؛ لأن يونس -عليه

(١) الأنبياء: ٨٧.

السّلام- لما قالها كان يثق أنّ الله يسمعه، ويثق أنّ الله قادر على إنجائه، ويثق أنّ الهمّ لا يفرجه إلّا الله.

فتجده يقول:

- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ هذه كلمة التّوحيد.
- ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك يا الله عن كل ما لا يليق بك، أنزهك عن النّقائص والعيوب، أنزهك عن أن لا تسمعني ولاتردني وأنا في هذه الحال.
- ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يعترف بالظلم الّذي يقابله اليقين بعظمة ربّ العالمين.

فيقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ نعود إلى هذا المعنى بعد أن يعترف بأنّه ظالم ومقصر ماذا يريد؟ يريد ما ذكرناه: «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ» ولهذا ليس هناك علاج مثل توحيد الله وذكر الله؛ لأن الإنسان لابد أن يفزع في ملماته وجميع أحواله وشدائده إلى من بيده الملك، لابد أن يفزع إلى من بيده الملك ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1] الله هو الّذي يعطي ويمنع، ولا أحد يستطيع أن يدفع عن الإنسان أحزانه أبدًا، لا يستطيع مهما كان هؤلاء قريبين ومهما كان هؤلاء محبين، فإن الأحزان الّتي تدخل إلى القلب غالبًا أنّ الخلق لا يستطيعون حتّى فهمها فالتّوحيد التّوحيد.

(١) فاطر: ٢.

ولذا مثله في حديث أسماء أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- علمها علاجًا للهمّ أن تقول: «اللهُ اللهُ ربّي، لا أُشرِكُ به شيئًا» ولاحظوا تكررت هذه الكلمة مرتين حتى تملأ القلب بذكره: «اللهُ اللهُ ربّي» فتتذكر عظمته وجلاله وأنّه وحده المستحق أن يكون إلهنا الّذي نحبّه ونعظّمه «ربّي» ربّي الّذي خلقني وربّي الّذي أعبده وألجأ إليه، فهو الخالق الرّازق المنعم المدبّر، المتصرف في شؤون خلقه كلها، بيده الأمر كلّه، يذهب الغمّ حين يظهر الاعتراف بالتّوحيد على السّطح فيتكلم الإنسان به ويكون في فؤاده: «اللهُ اللهُ ربّي، لا أُشرِكُ به شيئًا».

❁ إذًا علاج الهمّ: الإخلاص في التّوحيد والبراءة من الشّرك.

وفي ذكر اسم (الله) واسم (الربّ) دلائل عظيمة على أنّ هذه الأسماء تشمل معاني الأسماء غيرها «اللهُ اللهُ ربّي، لا أُشرِكُ به شيئًا» ومن ثم لا أطلب من غيره ولا أميل إلى غيره ولا أنتظر من غيره. والله المستعان.

عرفنا هذه الكلمات العظيمة الّتي كلها توحيد وهي مذهبة للهموم والغموم بسبب ما تتضمنه من ذكر لله وأسماء عظيمة وصفات ومن ذلك: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ» فهو يعترف بألوهية الله ويعترف بأنّ الله عظيم كبير متعالٍ، فيتذكر عظمة الله وكمال قوة الله وكمال اقتدار الله، وإحاطة الله بخلقه سبحانه، وأنّه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السّماء فما الّذي يخيفك؟! ويتذكّر حلم الله -عزّ وجلّ- وأنّه يعيش في الدّنيا بحلم الله، فالّذي يقول: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ» يتذكر أن كلّ هؤلاء الذّين فسقوا وفجروا باقون لأنّ الله حليم، وأنك يا ربّ العالمين قادر على إخراجي مما أنا فيه رغم ذنوبي وعيوبي، ولكن أنت العظيم الحليم.

«لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ» يتذكّر الإنسان هذا المخلوق العظيم وهو أكبر المخلوقات وأوسعها، ووصف هنا في الذّكر بأنه عظيم ووصف بأنّه كريم، والكرم هو السّعة، فهذا مخلوق من أكبر المخلوقات ومن أوسع المخلوقات، فيتذكّر الإنسان قدرة الله وعظمة الله، ويتذكّر خلق السّماوات والأرض، فيقول هذا الذّكر ويزول عنه -إن شاء الله- هذا الغمّ، إذا اشتغل القلب بهذه المعاني الّتي في الذّكر.

نلخص هذا الأمر فنقول: من أذكار الصّباح والمساء: «اللَّهمَّ رَحْمتَك أرْجو، فلا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفةَ عَينٍ، وأصلِحْ لي شَأني كلَّه، لا إلهَ إلَّا أنتَ» وهذا مع أنّه ذكر من أذكار الصّباح والمساء ولكنه أيضًا من الأربّعة نصوص الّتي ورد فيها ذكر لإزالة الهمّ والغمّ، عرفنا معنى النّص الأوّل الّذي هو موضوع دراستنا من الأذكار وما بعده من النّصوص، كلّها تدور حول أمر واحد: أن علاج الحزن والهمّ والغمّ توحيد الله وذكر الله، يكون الإنسان معظّمًا لله، منزّهًا لله، لا يلتجئ لغير الله، هو العلاج النّاجع.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممن زال همّه وغمّه بذكر ربّه، وأن يجعلنا ممن أحسن في هذه الأذكار، وتعلم معانيها حتّى امتلأ فؤاده امتلاءً تامًا بهذا الحقّ. ربّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات.

نكون بهذا انتهينا من إحدى أذكار الصّباح والمساء، اللّهمّ علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته